[39] الباطن فليس على معنى الاستبطان للأشياء بأن يغور فيها ولكن ذلك منه على استبطانه للأشياء علما وحفظا وتدبيرا، كقول القائل: أبطنته يعني خبرته وعلمت مكتوم سره، والباطن منا الغايب في الشئ المستتر وقد جمعنا الاسم واختلف المعنى، وأما القاهر فليس على معنى علاج ونصب واحتيال ومداراة ومكر، كما يقهر العباد بعضهم بعضا، والمقهور منهم يعود قاهرا والقاهر يعود مقهورا، ولكن ذلك من ا تبارك وتعالى على أن جميع ما خلق ملبس به الذل لفاعله وقلة الامتناع لما أراد به لم يخرج منه طرفة عين أن يقول له كن فيكون، والقاهر منا على ما ذكرت ووصفت، فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى، وهكذا جميع الأسماء وإن كنا لم نستجمعها كلها فقد يكتفي الاعتبار بما ألقينا اليك. وا عونك وعوننا في إرشادنا وتوفيقنا. * الشرح: (علي بن محمد مرسلا، عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام)) هذا الحديث رواه الصدوق في كتاب عيون أخبار الرضا (عليه السلام) وفي كتاب التوحيد من طريق المصنف مسندا قال: حدثنا علي ابن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق (رضي ا عنه) قال: حدثنا محمد بن يعقوب الكليني قال: حدثنا علي بن محمد المعروف بعلان، عن محمد بن عيسى عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) (قال: قال: اعلم علمك ا الخير) الخير مفهوم عام شامل لجميع القوانين الشرعية وجزئياتها سواء كانت متعلقة بنظام الدين أو بنظام الدنيا، وهذا الخطاب عام شامل للموجود والمعدوم ومن هو في أصلاب الآباء وأرحام الامهات (إن ا تعالى قديم) وجوده ذاتي (1) مستند إلى ذاته غير مسبوق بالعدم ولا معروض له (والقدم صفته التي دلت العاقل) إما بالاستقلال أو بملاحظة مقدمة مبرهنة متقررة في العقل مسلمة عند الكل وهي أنه تعالى مبدأ لجميع ما سواه (على أنه لا شئ قبله لا شئ معه في ديموميته) التي كانت له في

_____

1 - قوله: " وجوده ذاتي " كذا فسر القديم المجلسي (رحمه ا) ورفيعا النائيني (رحمه ا) لأن الذي وجوده عرضي حاصل له من غيره لابد أن يكون مخلوقا كما مر في محله، وأما الشارح القزويني - رحمه ا - فقال: المراد با هنا فاعل الأجسام سواء كان واجب الوجود لذاته أم لا، سواء كان بسيطا أو مركبا من عدة بسائط مجردة، وهو عجيب إذ لم يعهد إطلاق كلمة ا على غير واجب الوجود بالذات ولا يصح لا حقيقة ولا مجازا، لأن المجاز أيضا يتوقف على تجويز اللغة ولا يجوز في لغة العرب إطلاق ا مجازا على غيره تعالى حتى عند المشركين، والحامل له على ذلك أنه زعم أن صدر الحديث تقرير مذهب باطل يريد الإمام (عليه السلام) نقضه وهو مذهب الفلاسفة والأشاعرة حيث زعموا أن غير ا تعالى أيضا قديم، أي العقول أو الصفات الثمان التي سموها القدماء

الثمانية، وهذا أيضا عجيب، لأن الإمام (عليه السلام) قال: " أعلم علمك الله الخير أن الله قديم " ولو كان هذا تقرير مذهب باطل لم يقل (عليه السلام) أعلم علمك الله الخير، فإنه لا يأمر بتصديق شئ باطل. (ش) (*)